JUNE 2019
Vol 1 Issue 2

Economic transformations in Jerusalem throughout history

Dr. Imad Abdulaziz Youssef [1] Dr.Omar Amjad Saleh [2]

Imad @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10510258, PP 122-130.

Abstract: Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon our master Muhammad, who was sent as a mercy to the worlds and guided to the straight path. Jerusalem is the heart of Palestine, and the truth is that Jerusalem and Al-Aqsa Mosque are more than that, and that Holy Jerusalem occupies a high position in the hearts of Muslims and attracts their attention from the east and west of the earth because of this city's connection to the religious faith of Muslims.

Keywords: Economy, agriculture, industry, Jerusalem, the twentieth century.

التحولات الاقتصادية في القدس عبر التاريـخ

ملخص الدراسة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين الهادي إلى الصراط المستقيم. القدس هي قلب فلسطين والحقيقة ان القدس والمسجد الأقصى هما أكثر من ذلك وان القدس الشريف يتبوأ المقام الرفيع في قلوب المسلمين ويستقطب اهتمامهم في مشارق الأرض ومغاربـها لارتباط هذه المدينة بعقيدة المسلمين الدينية.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد، الزراعة، الصناعة، القدس، القرن العشري.

مقدمة الدراسة:

قد وجدت ان ابحث في التحولات الاقتصادية في القدس عبر التاريـخ وقد ارتأينا أن يكون النصف الأول من القرن العشرين أنموذج وذلك لتبيان مدى التغيرات التي حصلت في القدس في تلك الفترة، مروراً بالصناعات والأسواق والتجارة والشركات

التجارية والمصارف ومستوى المعيشة في القدس.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى مناقشة عدة فرضيات تحاول ايجاد الحلول لها وهي التحولات الاقتصادية في القدس عبر التاريـخ النصف الأول من القرن العشرين انموذجاً.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة على:

امكانية اعتماد النتائج المردودة من التحولات الاقتصادية في القدس.

هل التحولات الاقتصادية التي حدثت في القدس استطاعت من تحقيق اهدافه ام لا.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي موضوع الدراسة وفيه يتم التركيز على المعلومات التاريخية وتحليلها وفق معطيات تاريخية علمية تهدف إلى توضيح أهمية المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة التحولات الاقتصادية في القدس.

حدود الدراسة:

- الحدود الزمانية: تتعلق بالمدة التاريخية التي حددت بها الدراسة وهي النصف الأول من القرن العشرين.
- الحدود المكانية: فهي الموقع الذي دارت به الدراسة وهي مدينة القدس.
- الحدود الموضوعية: تتعلق بموضوع الدراسة.

مصادر الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المنوعة ذات العلاقة بالموضوع.

التحولات الاقتصادية في القدس عبر التاريـخ تمثلت أوجه النشاط الاقتصادي في مدينة القدس بقطاعات أهمها الزراعة والصناعة والتجارة ولما كانت الزراعة هي أساس النشاط الاقتصادي فسيكون بداية الحديث عنها .[1]

- **الزراعة:**
- ملكية الأراضي :قامت الدولة العثمانية بإصلاحات متعددة من اجل سيطرة الدولة على أراضيها وتشجيع السكان بزراعة الأرض مما يزيد العائدات الضريبية التي تجنيها الدولة. وأصدرت الحكومة العثمانية قانون الأراضي عام 1858م والذي بموجبه قسم الأراضي إلى خمسة أقسام:

القسم الأول :الأراضي المملوكة وهي أربعة أنواع:

- ما خصص للسكن على الا تزيد مساحتهُ عن نصف دونم.
- الأراضي الأميرية التي كانت أميرية ثم تحولت إلى ملك شخصي عن طريق التملك الصحيح.

[1] [] دونالد كواترت، الدولة العثمانية 1700-1900، (بيروت: 2005)، ص238.

- الاراضي العشرية التي جرى تملكها وتوزيعها في الفتح الإسلامي.
- أراضي الخراج وهي الأراضي التي تقرر بقاءها بيد أهلها الأصليين من غير المسلمين .[2]

القسم الثاني: الأراضي الأميرية وسميت بالأميرية نسبة إلى أمير المؤمنين الذي وضع يده عليها باسم الأمة ورقبة هذه الاراضي تعود لبيت المال أو الخزينة وتشتمل على الأراضي الزراعية وغير الزراعية المستعملة في صناعة الفخار أو استخراج الحجارة وصناعة الزجاج ولهذا عرفت بالأميرية لكونها تزود الخزينة بالأموال اللازمة للصرف على الأمة وخاصة جيوشها .[3]

القسم الثالث :الأراضي الموقوفة وقسمت إلى:

- الأول: الأوقاف الصحيحة ما كان ملكاً شخصياً وأوقفه صاحبه وفقاً للشرع، والتي يجري على هذه الأراضي الاجراءات القانونية.
- الثاني: الأوقاف غير الصحيحة وتتألف من الاراضي الأميرية التي أوقفها السلاطين بالذات أو آخرون بالأذن السلطاني وهذه الاراضي تجري بحقها الاجراءات القانونية.
- القسم الرابع :الاراضي المتروكة وقسمت إلى اراضي عمومية ملا يجوز تملكه مثل الطريق العام والأراضي المخصوصة القسم المخصص إلى عموم أهل المنطقة .[4]
- القسم الخامس :الاراضي الموات وهي الأراضي المنقطعة عن العمران وهي دائماً مشاع للجميع ويستطيع الإنسان ان ينتفع بها بإذن من مسؤول الاراضي في المنطقة .[5]

اصبحت الزراعة في النصف الأول من القرن العشرين المجال الإنتاجي الأساسي في اقتصاد القدس وكانت زراعة الزيتون تؤلف نسبة كبيرة من صادرات القدس، لذلك خطط الاستيطان الصهيوني للسيطرة على ذلك المنتج الحيوي .[6]

وخلال فترة 1929-1930 ازداد الإنتاج الزراعي بسبب اعتاد الانتداب البريطاني الزراعة الفلسطينية لتلبية الاحتياجات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط. وفي ظروف تفجر الأزمة الاقتصادية

[2] امين ابو بكر، ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918م (عمان: 1996)، ص34-44.

[3] ابو بكر، المصدر السابق، ص386.

[4] محمد ابشرلي ومحمد داود التميمي، اوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، (استانبول: 1982)، ص70.

[5] نوفل نعمة اله نوفل (ترجمة)، الدستور العثماني، (بيروت: 1884)، ص19.

[6] خليل ابو رجيلي، "الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل"، شؤون فلسطينية ع11، تموز 1972، ص129.

في العالم الرأسمالي 1929 التي استمرت حتى عام 1933م. واستمر هذا الحال حتى منتصف اربعينيات القرن العشرين .[7]

أهم المحاصيل الزراعية:

- الزيتون :انتشرت زراعة الزيتون بصورة واسعة واهتم السكان بزراعة لملاءمة المناخ والتربة لهذا النوع من الزراعة وخصوصاً ان زيت الزيتون بشكل مادة غذائية اساسية للسكان وقد اهتمت السلطات البريطانية بزراعة الزيتون بشكل كبير.
- الحمضيات: اهتمت بريطانيا منذ عام 1918 بزراعة الحمضيات وقد ايقن الصهاينة اهمية زراعة الحمضيات فعملت على الاهتمام بزراعته .[8]
- الفواكه: زرعت أشجار الفواكه من تين ورمان والجوز والتفاح والتوت، وأكثر أنواع الفواكه التي زرعت وبشكل كبير في القدس هو العنب (الكروم) حيث انتشرت بشكل كبير جداً حتى ان السلطات البريطانية والصهيونية أهتموا بزراعته بشكل واضح وكبير .[9]
- التبغ :اتبعت سلطات الانتداب البريطاني سياسة مجحفة بحق زراعة التبغ إذ يعد هذا القطاع الزراعي عربياً بامتياز لذلك حاولت السلطات وضع كل المعوقات من أجل التضييق على زراعته بهذا القطاع الزراعي سيساهم بدرجة كبيرة وفعالة في تطوير القطاعين الزراعي والصناعي العربي فضلاً عن ذلك أنهُ لن يعود بالنفع على المشروع اليهودي في فلسطين، لذلك فتحت سلطات الانتداب البريطاني في باب الاستيراد امام السكائر الأجنبية وإغراق الأسواق الفلسطينية بمختلف أنواعها فضلاً عن تشجيع استيراد التبغ الخام .[10]

الصناعة: ان استعراض ملامح التطور الصناعي في القدس يتطلب ضرورة التميز ما بين الصناعة الصهيونية والصناعة العربية فالاقتصاد الصهيوني الذي تولد عن رغبة الصهيونيين في إيجاد ((الوطن القومي اليهودي)) قد تميز بفيض متواصل من المهاجرين الصهاينة ورؤوس الأموال أما الاقتصاد العربي المقدسي فقد كان اقتصاداً زراعياً في معظمهُ يتسم بنمو سكان طبيعي سريـع وتراكم بطيء في رأس المال واليد

[7] [] سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في فلسطين (بيروت: 1939)، ص189.

[8] [] سمير جرجيس، القدس المخططات الصهيونية الاحتلال التهويد، (بيروت: 1981)، ص40.

[9] [] سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في فلسطين، (بيروت: 1939)، ص181.

[10] [] يوسف صايغ، الاقتصاد الاسرائيلي، ط2، (بيروت، 1966)، ص24.

العاملة ومن جانب آخر كانت الصناعة الصهيونية محظوظة في تلقيها سيلاً من العمال المهرة ومن ارباب الصناعات.

كما استفادت الصناعة اليهودية من السياسة التفضيلية التي انتجتها سلطات الانتداب في مجال الحماية الجمركية وقد اعترفت حكومة الانتداب ان سياسة الحماية الجمركية كانت مسخرة في الاساس لصالح الصناعة اليهودية وقد اقرت في تقريرها المقدم في عام 1935 إلى مجلس عصبة الأمم انها قدمت المساعدة لعدد من الصناعات [11] التي كانت في ايدي اصحاب المصانع الصهيونية بإعفائها من رسول الاستيراد على مواد اولية معينة وبزيادة ضريبة الاستيراد بقصد الحماية على بعض المواد المصنوعة كما قامت سلطة الانتداب بزيادة التعريفة على السلع الصناعية المستوردة والتي كانت الصناعة اليهودية قادرة على إنتاجها وبات الرسم على بعض المواد مرتفعاً بشكل خاص. وقد نصت المادة الحادية عشر من صك الانتداب على فلسطين ان تتخذ الإدارة الاجراءات اللازمة فيما يتعلق بتنمية البلاد مع تخويلها السلطة التامة في اصدار ما يلزم من تشريعات لتملك أياً من موارد البلاد الطبيعية والمنافع العمومية بها. ثم خولت المادة نفسها سلطات الانتداب الاتفاق مع الوكالة اليهودية على قيام الوكالة بإنشاء او تسيير الأشغال العامة ما دامت الإدارة لا تتولى تلك الأمور مباشرة بنفسها، وينحصر التفسير الصهيوني لما جاء في تلك المادة بانها تستهدف تسخير موارد فلسطين الطبيعية للاستثمارات الصهيونية التي تسيرها الوكالة اليهودية لتتمكن من السيطرة على اقتصاديات فلسطين وفتح آفاق جديدة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المهاجرين الصهاينة وقد تجلى التعاون البريطاني مع الصهيونية في مجال الصناعة والتعدين .[12]

أبرز أنواع الصناعات في القدس:

- صناعة النسيج:

كان في القدس بضع مئات من الأرمن اللاجئين أثناء الحرب العالمية الأولى، ولقد فكرت جمعية الصليب الأحمر الأمريكية في تشغيل هؤلاء اللاجئين بقصد الاستفادة منهم وتمرينهم على أعمال يربحون منها رزقهم بدلاً من توزيـع الهبات عليهم فأسست لهم أنوالاً فبدأ هؤلاء يغزلون وينسجون عليها وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في مدينة القدس، وعندما غادرت هذه الجمعية القدس بسبب انتهاء الحرب العالمية الأولى تولت أعمالها جمعية

[11] كين ميركورد، الصناعة اليهودية واعتمدها على رأس المال الأجنبي 1922-1939م شؤون فلسطينية، ع17 كانون الثاني 1973، ص109.

[12] محمد يونس الحسيني، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، (يافا، 1946)، ص130

(محبي القدس) وراحت هذه الجمعية تعمل على جعل هذه الصناعة صناعة دائمة ترتكز عليها مدينة القدس من الناحية الصناعية وقررت ان تقوم هذه الصناعة في سوق القطانين تلك السوق التي عمرتها جمعية محبي القدس عام 1919.

وقد عادت صناعة الغزل والنسيج وانتعشت خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945 وأسست في القدس عدة مصانع للغزل والنسيج منها ما هو عربي ومنها ما هو يهودي ولكن هذه الصناعة ما برحت بحاجة ماسة إلى التحسين والتوسع .[13]

- صناعة الزجاج والخزف:

تأسست في القدس وفي الطريق المعروف بدرب الالام وبتشجيع من جمعية محبي القدس عام 1921 اتون لصنع الخزف واستخدم فيه عدد من الخلايله الماهرين في هذه الصنعة ولكن هذه الصناعة لم تنجح كثيراً رغم انها من الصناعات التي كانت معروفة بالقدس منذ زمن طويل .[14]

- صناعة القاشاني:

كانت هذه الصناعة في اوائل الاحتلال البريطاني منحصرة في رجل ارمني اسمه اوهانسيان وكان هذا يصنع القاشاني وفي دار الايتام السورية المعروفة باسم شنللر الالمانية فعملت جمعية محبي القدس وبمساعدة مصلحة المعارف على إحياء هذه الصناعة وتشجيعها إذ إنها من الصناعات التي كانت فيما مضى من الأزمان معروفة في القدس وقد قام عدد من صناع الخزف والقاشاني المسلمين بصنع البلاط القاشاني الملون الذي احتاج غليه المجلس الإسلامي من أجل عمارة الصخرة المشرفة عام 1920-1922م .[15]

- صناعة البلاط:

وهي الصناعة التي انتعشت بفضل الأموال التي انفقتها مصلحة الوقف الاسلامي واستخدمت فيها عمالاً من الأرمن وقد ساعد على انتعاش هذه الصناعة الحاجة الماسة إليها إذ إن المجلس الإسلامي يرغب في الحصول على مقادير كبيرة من البلاط ليضعهُ مكان البلاط الذي سقط أو تلف أو أصبح على وشك السقوط في مسجد الصخرة وكان البلاط الجديد قريب من البلاط القديم من حيث الجودة وكان أحسن بكثير من البلاط الأوربي الذي استعمل في عمارة الصخرة .[16]

- صناعة خشب الزيتون:

[13] [] ماهر الشريف، تاريخ فلسطين الاقتصادي والاجتماعي، (بيروت، 1985)، ص53.

[14] [] احمد سعد، التطور الاقتصادي في فلسطين، (حيفا: 1985)، ص72.

[15] [] ابراهيم الجندي، الصناعة في فلسطين ابان الانتداب البريطاني، (عمان: 1986)، ص91.

[16] [] فؤاد بسيسو، "الاقتصاد العربي في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني من 1920-1948" الموسوعة الفلسطينية، ف2، ج1، (بيروت: 1990)، ص669.

وهي صناعة لحفر والنقش على خشب الزيتون وقد اختص بها اهالي القدس وبيت لحم وفي المدينتين صناع مهرة اتقنوا هذه الصناعة وساعد على ذلك توفر خشب الزيتون، ويُحفر على الخشب مناظر تاريخية تلفت النظر بإتقانها وتماثيل للسيد المسيح وأمهُ العذراء وصلبان من مختلف الأحجام هذا بالإضافة إلى صناعة ادوات مكتبية دقيقة الصنع، بالإضافة إلى صناعة المسابح من بذور الزيتون وخشب الزيتون نفسهُ .[17]

- صناعة الشمع:

من الصناعات التي اشتهرت في القدس وكانت مرغوبة من الحجاج والزوار للاماكن المقدسة وخاصة المسيحية والشمع المقدسي يصنع بأحجام كبيرة تحتوي على تعاريـج وتجاعيد جميلة والبعض يطبع عليه صوراً وأوراقاً وزهوراً تجعله ملفتاً للنظر ومرغوباً من قبل الحجاج والزوار لبيت المقدس لذلك يُباع بكثرة في الأعياد ومن هنا نشأت تجارة الشمع وهي تجارة رابحة .[18]

- صناعة التطريز البيض:

وهي من الصناعات القديمة التي اشتهرت بها القدس وبيت لحم حيث يثقبون البيض ثقوباً صغيرة يستخرجون منها بياض البيض وصفاره وبعد الانتهاء من تنظيف البيضة من داخلها يطرزون أو يرسمون عليها رسوماً وتعاريـج وزهوراً ومناظر دينية تبهج النظر وتوضع في أقفاص جميلة مصنوعة من النخل المجدول .[19]

- صناعة الصور النباتية:

وهي قطع من الكرتون الصقيل اللامع تُطبع عليها الرسوم ثم يُلصق حول هذه الرسوم بعض الزهور الجميلة الألوان التي تظهر في سهول فلسطين وجبالها وأوديتها بعد تجفيفها وكبسها .[20]

التجارة في القدس

جميع أنواع الحبوب التي كانت تتوفر في القدس من القمح والعدس والفول والحمص كانت ترد إليها من مناطق فلسطين أو من سورية وخاصة حوران أما الأرز والسكر فكان مورده الأول من مصر، أما الخضار فعلى اختلاف انواعها كانت لا تنقطع من القدس خاصة وفلسطين عامة فقد كان الخضار يرد من السهول الساحلية في الربيع والخريف ومن المنطقة الجبيلة حول القدس في الصيف ومن غور اريحا في فصل الشتاء.

أما الفاكهة فأشهر أنواعها الحمضيات وكانت فلسطين ولا تزال من أشهر بلدان العالم بإنتاج الحمضيات وعلى رأسها البرتقال المعروف بالبرتقال اليافاوي وهو من أجود

[17] [] حسين ابو النمل، الاقتصاد الاسرائيلي، (بيروت: 1988)، ص53.

[18] [] محمد يونس الحسيني، التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية، (يافا: 1946)، ص67.

[19] [] سعد، المصدر السابق، ص72.

[20] [] كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، ط2 (طرابلس الغرب: 1982)، ص93.

أنواع البرتقال في العالم وكان البرتقال رخيصاً جداً وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية من 1939-1945 نظراً لتوفره وصعوبة تصديره خلال الحرب، أما التين والعنب والجوز واللوز فكانت المناطق والقرى حول القدس مشهورة بإنتاجه وتوفره فكان يباع قسم كبير منه في مدينة القدس وكان قسم من التين يجفف وقسم من العنب يصنع منه الدبس والزبيب، وكذلك كانت اسواق القدس تمتلئ بالبطيخ الأحمر والاصفر البعلي الطيب المذاق والذي كان يفيض قسم منه ليصدر إلى مصر .[21]

أسواق القدس

كانت الأسواق داخل المدينة فيها بعض التخصص فلكل نوع من البضاعة سوق خاص به ولما امتدت المدينة خارج الاسوار وانتشرت الاسواق في كل مكان كانت لمختلف أنواع البضائع ويوجد داخل القدس القديمة اسواق وكانت مرصوفة الشوارع ولكن شوارع الاسواق ضيقة ومتعرجة ويزدحم فيها الناس بكثرة ويزداد هذا الازدحام في الاعياد والمواسم، وهناك سوق علون وسوق البازار وسوق الحُصُر وسوق اللحامين وسوق النحاسين وسوق العطارين وهناك سوق التجار أو سوق الصياغ وهي سوق مقبوة وفي سقفيها نوافذ للإضاءة وسوق اليهود مقابل سوق التجار والصياغ كان معظم تجارها من اليهود وفي عام 1936 عندما ثار العرب ثورتهم الكبرى هجر معظم اليهود سوقهم وحل محلهم تجار الخليل، وهناك السوق الكبير ويسمى سوق الخضرة تبدأ عند ملتقى سوق اليهود بسوق التجار غرباً وتمتد حتى باب السلسلة شرقاً بعضه مُقبب وله نوافذ للإضاءة وفي منتصف هذا السوق خان رحب يُعرف بخان السلطان وفيه بعض المطاحن والمعاصر، أما سوق باب السلسلة فيقع بسوق الدلالين وفي هذا السوق يتفرع نحو الجنوب زقاق يهبط المار منه في درجات وهو يؤدي إلى حائط البراق وسوق باب القطانين يقع غربي الحرم الشريف وملاصق له ويمتد من الشرق إلى الغرب وفيه دكاكين يظهر من بنائها انها ليست قديمة العهد وهي مغلقة في ايامنا هذه اما السوق نفسه فإنه قديم العهد .[22]

وفي وسط السوق حمام يُعرف بحمام الشفا وهو خاص بالرجال ونهايته حمام آخر يُعرف بحمام العين يرتاده الرجال والنساء في أوقات مختلفة الرجال في الصباح والنساء في المساء، وأمام السوق من الناحية الغربية

[21] [] عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط2، (بيروت: 1986)، ص465.

[22] [] ماهر شريف، تاريخ فلسطين الاقتصادي والاجتماعي، (بيروت: 1985)، ص78.

شارع يوصل إلى دار الأيتام الإسلامية فحارة القرمي فسوق باب خان الزيت الذي يقع شرقي كنيسة القيامة وعلى بعد 300 ذراع منها أكثره مسقوف إلا نوافذ قليلة للإضاءة فهو معتم، وبين خان الزيت في الجنوب باب العمود في الشمال يوجد سوق باب العمود بعضه مسقوف وبعضه غير مسقوف وهو سوق قديم، ويوجد في القدس 5110 دكان و523 شركة و16 مصرفاً (بنكاً) .[23]

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث اتضح لنا ما يلي:

- كانت للتحولات الاقتصادية في القدس مظاهرها في شتى النواحي، وقد تعرضت في بعض السنوات لأزمات نتيجة سياسة بريطانيا تجاه اليهود الايجابية وسياستها السلبية مع العرب الفلسطينيين.
- وضعت بريطانيا العراقيل الكثيرة أمام نمو الصناعة الوطنية داخل فلسطين.
- ان تقسيم الاراضي الزراعية أي الملكية الزراعية كانت على ما هو عليه في اواخر العهد العثماني.
- وجود الكثير من المحاصيل الزراعية في القدس التي ساعدت الاقتصادي المقدسي، كان من أهمها الزيتون والفواكه.
- بعد التطرق للصناعة في القدس اتضح ان صناعة النسيج كانت رائجة بشكل كبير.
- وجود الكثير من الأسواق في القدس.

[23] [] الحسيني، المصدر السابق، ص77.